الفصل الثانى

دور الفقهاء السياسى في وسط الأندلس
ـ حالة قرطبة قبيل دولة بنى جهور

١ ـ الدور السياسي للفقيه أبو الحزم جهور بن جهور وبنيه فى قرطبة

٢ ـ بنو جهور والمواقف السياسية لبعض الفقهاء .

أ ـ القاضى أبو بكر محمد بن أحمد بن هرثمة بن ذكوان

ب ـ الفقيه يحيى بن محمد بن يبقى ين زرب .

ج ـ الفقيه حسن بن محمد بن ذكوان .

د ـ الفقيه محمد بن عتاب بن محسن .

هـ ـ الفقيه أبو الحسن إبراهيم بن محمد بن يحيى المعروف بابن السقاء .

و ـ الفقيه أبو مروان عبدالملك بن زيادة الله الطنبى .

obeikandi.com

obeikandl.com

حالة قرطبة قبيل قيام دولة بنى جهور :

عانت قرطبة فى أوائل القرن الخامس الهجرى من الصراعات السياسية كالمشاحنات بين القرطبيين والبربر ، وبين بنى أمية وبنى عامر وبنى حمود ، ودارت الحروب والصراعات التى كان من أبرزها ماعرف بالفتنة البربرية التى نتج عنها تخريب قرطبة واضطراب أحوالها ، وفساد أخلاق العامة بها وهجرة أهلها منها بعد أن فقدت الأمن والطمأنينة ، وإعراض الكثير من الفقهاء عن تولى منصب القضاء مثل الفقيه " أبى عبدالله محمد بن عتاب " الذى دعى إلى قضاء طليطلة والمرية فاستعفاهما (١) ، والفقيه "أبو المطرف عبدالرحمن بن مروان القنازعى "الذى دعى إلى تولى منصب الشورى بقرطبة فأبى (٢) ، وكذلك الفقيه " محمد بن عبدالله بن سعيد " الذى رفض قبول منصب الشورى أيضاً (٣) ، ومنهم من لزم بيته مثل الفقيه " أبى محمد بن حزم الظاهرى " (ت.٤٥٦هـ١٠٦٤م) ، ومنهم من هجر قرطبة مثل الفقيه " محمد بن معافى بن صميل " (ت. ٤١٠هـ١٠١٩م)(٤) ، والفقيه " أبو عبدالله بن الحذاء " (ت. ٤١٦هـ١٠٢٤م) (٥) والفقيه " محمد بن عمر بن يوسف بن الفخار " (ت. ٤١٩هـ١٠٢٧م) (٦) ، والفقيه " أحمد بن محمد بن عفيف " (ت. ٤٢٠هـ١٠٢٨م) (٧) ، والفقيه " محمد بن عبدالرحمن بن معمر (ت. ٤٢٣هـ١٠٣١م) (٨) ، والفقيه " محمد بن مغيرة بن عبدالله الإشبيلى "

---

(١) أبو عبدالله محمد بن عتاب قرطبى قيل عنه أنه شيخ المفتيين ، روى عن القنازعى وابن وافد و الحداد وأبو عمر الطلمنكى والقاضى يونس بن مغيث وأبى محمد مكى بن أبى طالب ، سمع منه إبناه والفقيه ابن سهل وكذلك ابن حمدين وأبو جعفر بن رزق . أنظر القاضى عياض : ترتيب المدارك ، جـ ٤ ، ص ٨١٠ ، ٨١١ .

(٢) أبو المطرف عبدالرحمن بن مروان القنازعى قرطبى فقيه ومحدث شروطى له رحلة إلى المشرق سمع فيها من بعض أصحاب البغوى ،روى عنه أبو عمر بن عبدالبر ، وله كتاب فى الشروط على مذهب مالك . أنظر الحميدى:جذوة المقتبس،ق ٢، ص ٤٤١ .؛ الضبى : بغية الملتمس ، جـ ٢ ، ص ٤٨٢ .؛ القاضى عياض : ترتيب المدارك ، جـ ٤ ، ص ٧٢٦ ـ ٧٢٨ .؛ ابن فرحون : الديباج ، جـ ١ ، ص ٢٨٥ .

(٣) ابن فرحون : الديباج ، جـ ٢ ، ص ٢٣٤ .

(٤) ابن بشكوال : الصلة ، جـ٢ ، ص ٤٧٦ .

(٥) نفسه ، ص ٤٤١ .

(٦): نفسه ، ص ٤٨٣ .

(٧): نفسه ، ص ٤٢ .؛ القاضى عياض : ترتيب المدارك ، جـ ٣ ، ص٧٣٥

(٨) ابن بشكوال : نفسه ،جـ١، ص ٣١٤ .

(ت. ٤٢٥هـ١٠٣٣م)[٩] ، والفقيه " محمد بن يوسف بن محمد الأموى " (ت. ٤٢٩هـ١٠٣٧م)[١٠] ومن أشهر الفقهاء الذين هجروا قرطبة الفقيه " حماد بن عمار الزاهد " ٤٣٢هـ١٠٤٠م) الذى استوطن طليطلة بعد تركه لقرطبة ورفضه لمنصب القضاء فيها [١١] ، وكذلك الفقيه " أبو الوليد هشام بن غالب الغافقى " (ت. ٤٣٨هـ١٠٤٦م) الذى ترك قرطبة واستقر فى غرناطة ثم رحل إلى إشبيلية فاستقر بها حتى وفاته [١٢] وكذلك الفقيه " أبو عمر يوسف بن عبدالبر القرطبى " الذى تنقل بين مدن الأندلس [١٣] .

ومن هؤلاء الفقهاء من تعرض للإيذاء مثل القاضى " عبدالرحمن بن بشر" الذى تولى القضاء فى عهد "على بن حمود"و" القاسم بن حمود "،فلما تولى الحكم "هشام المعتد"عزله عن منصبه لولائه لبنى حمود [١٤] .

وقد كثرت فى قرطبة السرقات والسلب والنهب واللهو والعبث وشرب الخمور وخاف الناس على أنفسهم من الحروب فاستفتوا فقهاء المالكية فى التعجيل بصلاة العشاء [١٥] ،وأصبحوا يصلون الجمع وصلوات الأعياد فى منازلهم خوفاً عليها ، واجتمع رأى القرطبيين على إختيار جماعة تدير شئون قرطبة عرفت باسم حكومة الجماعة ، وهى حكومة تتألف من صفوة شيوخ ووزراء المدينة اتفق أهل قرطبة على إختيارهم وكان على

(٩) نفس المصدر، جـ٢، ص ٤٨٩ .؛ القاضى عياض : نفسه ، جـ ٤ ، ص ٧٥٩ .
(١٠) ابن بشكوال : نفسه ، ص ٤٩٣ .
(١١) القاضى عياض : ترتيب المدارك ، جـ ٤ ، ص٧٣٠ .
(١٢) ابن بشكوال : الصلة ، جـ ٢ ، ص ٦١٦ .
(١٣) القاضى عياض : ترتيب المدارك ، جـ ٤ ، ص ٨٠٨ . ولمزيد من التفاصيل عن هؤلاء القضاه أنظر محمد عبدالوهاب خلاف : تاريخ القضاء فى الأندلس
(١٤) عبدالرحمن بن أحمد بن بشر قاضى بقرطبة يكنى آبا المطرف ، فقيه عالم وأديب ، أرسل له ابن حزم قصيدته الشهيرة التى يفخر فيها بنفسه ويعدد محاسنه ، اختاره القاضى ابن ذكوان فى أيام الفتنة وفى عصر بنى حمود ، وكان شديداً على الفقهاء لتقويم ميلهم ، وقد أوشوا به عند الخليفة المعتد فعزله عن منصبه ولكن الخليفة حضر جنازته حين توفى سنة ٤٢٤هـ . أنظر القاضى عياض : ترتيب المدارك ، جـ ٤ ، ص ٧٣٦ .
(١٥) أحمد محمد سعيد : الحياه الأدبية فى قرطبة فى القرن الخامس الهجرى ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة الإسكندرية ، سنة ١٩٧١م ، ص ٥ .

رأس هذه الحكومة " أبو الحزم جهور بن محمد بن جهور " (١٦) عميد الجماعة وكبير قرطبة وكان هدف هذه الجماعة المؤقتة تسيير شئوون المدينة حتى يتم الإتفاق على إعادة رسم الخلافة الأموية .

ووقع إختيار الجماعة على " هشام بن محمد بن عبدالملك بن عبدالرحمن الناصر " الذى كان مقيماً فى حصن (ألبونت)(١٧)، فبايعه أهل قرطبة بالخلافة فى ربيع الآخر سنة ٤١٨هيونية ١٠٢٧م وتلقب بال " المعتد بالله " أو المعتمد (١٨) .

وقد دخل الخليفة " المعتد بالله " قرطبة يوم ٨ من ذى الحجة سنة ٤٢٠هـ ١٨ ديسمبر١٠٢٩م (١٩) وفى اليوم التالى جددت له البيعة بالخلافة فى قصر الخلافة وفى مجلس حضره علية القوم ، وعين " حكم بن سعيد " فى منصب الوزير الأول ، وكان هذا الرجل نساجاً قديماً ، كما كان صديقاً للمعتد منذ الصبا ورفيق عودته إلى قرطبة ، كما عين الشاعر " أحمد بن عبدالله بن شهيد " وزيراً وكاتباً ، وقلد كل من " فائز بن المغيرة " و عبدالرحمن بن محمد بن محمد الحناط " الوزارة (٢٠) وعين " أبو محمد على بن حزم "

---

(١٦) أبو الحزم جهور بن محمد بن جهور بن عبيد الله بن محمد بن الغمر بن أبى عبده منهم حسان بن مالك وزير عبد الرحمن الداخل ، ويذكر أنهم كانوا من موالى بنى أمية ، وعملوا منذ زمن طويل فى الوزارة والكتابة والحجابة والقيادة ، وقد عمل جهور بن محمد بن جهور كوزير للدولة العامرية ، ثم بايع هشام المعتد إبان الفتنة ثم إستقل بالأمر حتى مات . أنظر : الحميدى : الجذوة ، ق ١ ، ص ٦٠ ، ٦١ .؛ ابن خاقان : مطمح الأنفس ، ص ١٨٠ ومابعدها .؛ ابن الأبار : الحلة ، جـ ٢ ، ص ٣٠ - ٣٢ .؛ ابن سعيد : المغرب ، جـ ١ ، ص ٥٦ ، ٥٧ .؛ عبدالواحد المراكشى : المعجب ، ص ١١١ .؛ ابن خلدون : العبر ، ، جـ ٤ ، ص ٢٠٤ .؛ ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص ٤٨ ، ١٤٩ .

Dozy : Histoire Des Muslemans , Tov III , P. 5 .

(١٧) حصن ألبونت Alpuent يقع شمال غربى بلنسيه ، وصفه الحميرى بأنه قرية من أعمال بلنسيه ، ووصفه ابن سعيد بأنه معقل من المعاقل الرفيعة . ابن سعيد : المغرب ، ج٢ ، ص ٣٩٥ ؛ الحميرى : الرض المعطار ، ص ١١٥ ، المقرى : نفح الطيب ، جـ١ ، ص ١٤٢ ؛ كمال أبو مصطفى ، تاريخ مدينة بلنسيه ، ص ٥٣ .

(١٨) الحميدى : الجذوة ، ق ١ ، ص ٢٧ .؛ سحر عبد العزيز سالم : نصوص تاريخية إسلامية ، نص ٨ ص ٢ وما بعدها عن وزراء بيت بنو أبى عبده ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، ط سنة ٢٠٠٥م .؛ ابن بسام : الذخيرة، ق ٣ ، جـ ١ ، ص ١٥ .؛ ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٣ ، ص ١٤٥ .؛ ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص ١٦٢ .

(١٩) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٣ ، جـ ١ ، ص ٥١٦ ، ٥١٧ .

(٢٠) نفس المصدر، ص ٥١٤ ، ٥١٨ ، ٥٢٠ ، ٥٢١ .

وزيـراً [٢١] ، وولى الـشاعر" محمـد بـن سـليمان بـن الحنـاط الرعينـى الأعمـى " ديـوان الإنشاء [٢٢] ، كما ولى " أبو عمر أحمد بن موسى " خطة الإفتـاء بقرطبة كما ولى الفقيه " أبو بكر محمد بن أحمد بن ذكوان " خطة المظالم .

وكان تعيين الخليفة " المعتد بالله " لـ "حكم بن سعيد " فى منصب الوزير الأول وقيم الدولة سبباً فى توتر العلاقات بينه وبين رجال قرطبة ، فقد كان شيوخ قرطبة يأملون أن يرد لهم " المعتد بالله " الجميل ويقلدهم أرفع المناصب فى دولته لكنه بدلاً من ذلك قلد هذه المناصب لرجال من صنائعه ، وقد علق ابن حيان على سياسة "حكم بن سعيد" نحو شيوخ قرطبة بقوله :" فبدر لأول وقته بعداوة الأمراء وتنقص الفضلاء والميل على أول البيوتات بالأذى والمطالبات وصير صنائعه فى أضدادهم من التوابع والحاكه فكانوا وزراؤه وأنصاره فنالوا معه المنازل النبيلة وأكلوا الطعوم الرقيقة ، أكثرهم صبية أغمار عيارون من نمطه ممن دينه حث الكاس وتنضيد الآس وطبخ الترفاس والتفكه بأعراض الناس " [٢٣] . وإذا أضفنا إلى ذلك إقدام الخليفة " المعتد بالله " على نكبة أصحاب البيوتات العربية الكبيرة حيث صادر أموال أحد أبناء القاضى " أبو العباس بن ذكوان " وقبحه فاضطر إلى الفرار من قرطبة [٢٤] ، كما توسل " المعتد بالله " بكافة الحيل والطرق الملتوية لكى يضع يده على أموال الأحباس . وقد أثار هذا العمل إستياء أهل قرطبة منه " فاعترت الأمة شدة مرت بها أيام على بن حمود جذعة ، فساءت أحوالهم لشدة السياسة المذمومة والوزارة المسخوطة " [٢٥] .

(٢١) ياقوت الحموى : معجم الأدباء ، جـ ٦ ،ت:س.مرجليوث، ط٢، سنة١٩٢٣م ، ص٢٣٧ .
(٢٢) ابن سعيد : المغرب فى حلى المغرب ، جـ ١ ، ص ١٢٢ .
(٢٣) ابن بسام :المصدر السابق ، قا ٣ ، جـ١، ص ٥٢٣ ، ٥٢٤ .؛ ابن عذارى : نفس المصدر ، ص١٤٨ ، ١٤٩ .
(٢٤) ابن بسام : نفسه ، ص ٥٧٨ .
(٢٥) نفسه ، ص ٥٢٠ .

obeikandl.com

ولم يقتصر الأمر على ذلك بل أخذ فى مصادرة أموال التجار القرطبيين ليتكرم بها على البربر ويجزل لهم العطاء ويكرم وفادتهم ويقربهم إليه (٢٦) ، ووصل الأمر إلى محاولة "حكم بن سعيد " القضاء على الجماعة ومشيخة وزراء قرطبة وأتباعهم والاستيلاء على البلد مما أثارهم ضده فدبروا لقتله والقضاء على دولة المعتد بالله (٢٧) . واجتمع الوزراء ومشيخة أهل قرطبة برئاسة كبيرهم " ابن جهور " وقرروا خلع الخليفة " المعتد بالله " وإلغاء الخلافة الأموية وعودة الجماعة إلى الحكم ونفى المروانية وتغريبهم عن قرطبة (٢٨) وأخبر الخليفة " المعتد بالله " بقرار الجماعة ، فنزل من العلية مع ولده ونسائه على الأمان (٢٩) ، ثم أعلن " أبو الحزم بن جهور " إنتهاء رسم الخلافة لعدم وجود من يستحقها وصيرورة الأمر شورى بأيدى الوزراء وصفوة الجماعة أو ماأسماه الجماعة وهكذا تحول الحكم فى قرطبة إلى نظام شبيه بحكم الشورى فى الإسلام عرف فى التاريخ بحكم الجماعة (٣٠) .

الدور السياسى للفقيه أبو الحزم جهور محمد بن جهور وبنيه فى قرطبة .

أجمع العامة بعد تخلصهم من الخليفة " هشام المعتد بالله " سنة ٤٢٢هـ١٠٣٠م على أن يتولى الحكم الفقيه " أبو الحزم جهور بن محمد بن جهور " الذى رفض قبول هذا المنصب فى البداية ، ولكنه أمام إلحاح القرطبيين وافق على أن يشاركه فى الحكم كل من " محمد بن عباس " و " عبدالعزيز بن حسن " إبنى عمه ، فوافق أهل قرطبة على مطلبه هذا على ألا يكون لشريكيه إلا المشورة فقط ، وفى ذلك يقول ابن بسام نقلاً عن ابن حيان إجتمع الملأ من أهل قرطبة على تقليد أمرهم وتأميرهم للشيخ أبى الحزم جهور محمد بن

(٢٦) ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٣ ، ص ١٤٦ .
(٢٧) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٣ ، جـ ١ ، ص ٥٢٤ . ؛ ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٣ ، ص ١٤٩ .
(٢٨) ابن بسام : نفس المصدر ، ص٥٢٠ . ؛ ابن عذارى : نفس المصدر ، ص١٥٠ .
(٢٩) عبدالواحد المراكشى : المعجب ، ص ١١٠ .
(٣٠) ابن الخطيب : أعمال اعلام ، القسم الأندلسى ، ص ١٩٣ ومابعدها .؛ أحمد مختار العبادى: فى تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٢٧٤ .

جهور وعددوا من خصاله مالم يختلف فيه أحد منهم ، وأبى من ذلك ، فألحوا عليه حتى أسعفهم شارطاً إشتراك الشيخين محمد بن عباس و عبدالعزيز بن حسن إبنى عمه خاصة من بين الجماعة ، فرأوا مشورتهم دون تأمير ، فرضى الناس بذلك وخلعوا من دونهم من الرؤساء ، وجددوا له عقد الرئاسة " (٣١) .

وقد تربى "أبو الحزم جهور بن محمد بن جهور " تربية دينية تأثر فيها بالفقهاء فقد روى عن " أبى بكر عباس الهمزانى " و " أبى محمد الأصيلى "، و القاضى" أبى عبدالله بن مفرج" و" أبو القاسم خلف بن القاسم" و"أبو يحيى زكريا بن الأشج "،وأخذ العلم عنه الفقيه " أبو عبدالله محمد بن عتاب " (٣٢) .

وقد ظهر جلياً تأثر " ابن جهور " بالفقه أو بالدين عامة فى تحويله للحكم فى قرطبة من حكم إنفرادى وراثى إلى حكم شورى ، وكان قد سبقه فى هذا الأمر القاضى " أبو القاسم محمد بن إسماعيل بن عباد " فى إشبيلية ، وإن كانت هناك بعض الفروق بين الحاكمين سيتناولها البحث .

وقد أشادت المصادر العربية بسيرة " أبى الحزم جهور بن جهور " وأسهبت فى ذكر محاسنه ، حيث تغير حال قرطبة على يديه وأصبحت تنعم بالأمن والإستقرار،وتحسنت أحوالها المالية وراجت الأسواق ، وإنخفضت الأسعار، وقد أشار ابن الأبار إلى ذلك بقوله :" وجعل ما يرتفع من الأموال السلطانية بأيدى رجال رتبهم لذلك وهو المشرف عليهم ،وسير فى أهل الأسواق جنداً، وجعل أرزاقهم رؤوس أموال تكون بأيديهم محصاة عليهم ، يأخذون ربحها فقط ، ورؤوس أموال باقية محفوظة ، يؤخذون بها ويراعون

(٣١) ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، جـ ٢ ، ص ٦٠٢ .
(٣٢) دوزى : ملوك الطوائف و نظرات فى تاريخ الإسلام ، ت. كامل الكيلانى ، القاهرة ١٩٣٣م ، ص ١٣ .

فى الوقت بعد الوقت كيف حفظهم له " (٣٣) . وهكذا نجحت سياسة " أبى الحزم " المالية فى قرطبة لالتزامه بتطبيق مبدأ الشورى الإسلامى (٣٤) .

وكان " أبو الحزم "من أغنى رجال قرطبة ، وقد عرف بالحرص الشديد على المال ومع هذا فكان يؤثر المصلحة العامة فحكم قرطبة بكل عدل واتزان، ومن جهة أخرى فقد تخلص من البربر وأقصاهم عن قرطبة (٣٥) .

ولم يفكر " أبو الحزم " فى الاستئثار بالحكم دون شريكيه كما فعل" أبو القاسم ابن عباد " فكان إذا شك فى أمر أو عزم على تدبير شئ أرسل إليهما واستشارهما، وإذا سئل قال :" ليس لى عطاء ولا منع هوللجماعة وأنا أمينهم " (٣٦) . وكان لا ينظر كتاباً بدونهم ولا يبرم أمراً إلا بعد موافقتهم ولا يتخذ قراراً إلا برضاهم وكان شديد التواضع حتى أنه لم يتخذ ألقاب الخلفاء ولم يلبس زيهم ، ولم ينتقل من بيته إلى قصر الخلافة وظل يؤذن فى المسجد ، ويصلى بالناس حتى النوافل ، وكان حافظاً للقرآن ، بالإضافة إلى أنه كان محبوباً لدى العامة لمشاركته لهم فى مناسباتهم الإجتماعية ، فكان يزور مرضاهم ويشهد جنائزهم (٣٧) ، فعرف بلين الجانب وحسن السياسة وعظيم الأخلاق .

وكان " أبو الحزم " يدرك مدى تأثير العامل الدينى على العامة فى قرطبة ، ولهذا استغله فى تحقيق طموحه السياسى فى الاستقلال بقرطبة ، فحين أعلن حكام إشبيلية من بنى عباد خلافة " هشام المؤيد " اعترف به ليتخلص من إعترافه بخلافة بنى حمود ولكنه بعد مقتل " يحيى بن على بن حمود " على يد الجيش الإشبيلى بقيادة " إسماعيل بن القاضى أبو القاسم " مالبث أن تنكر من إعترافه بخلافة " هشام المؤيد " ورفض السماح له

(٣٣) ابن الأبار : الحلة السيراء ، جـ ٢ ، ص ٣٢ .
(٣٤) محمد عبدالوهاب خلاف : قرطبة فى القرن الخامس الهجرى ، ص ٨٦ .
(٣٥) ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، جـ ٢ ، ص ٦٠٢ .
(٣٦) نفس المصدر، ص ٦٠٣ .؛ ابن الأبار : الحلة السيراء ، جـ ٢ ، ص٣١ ، ٣٢ .
(٣٧) الحميدى : الجذوة ، ق ١ ، ص ٦١ ؛ ابن الأثير : الكامل ، جـ ٩ ، ص ٢٨٥ .

ولحاجبه "أبا القاسم بن عباد "بالدخول إلى قرطبة وأغلق أبوابها دونهم حتى عادوا إلى إشبيلية منكسى الرؤوس (٣٨) .

وقد أقنع حكم " أبو الحزم " عامة قرطبة وشيوخها بصلاحيته حتى فضلوه على محاولات الأمويين للعودة إلى الحكم مثلما حدث مع " أمية بن عبدالرحمن الأموى " الذى حاول الوصول إلى الحكم ، كما أشار " ابن عذارى " إلى أن شيوخ قرطبة قتلوا أمية قبل أن يدخل قرطبة التى كان يريد الإقامة بها (٣٩) .

وعلى أية حال فإن سياسة الفقيه "ابن جهور" كانت سلمية إلى حد كبير ، فقد قال عنه ابن عذارى :" ودرأ القاسطين (٤٠) من ملوك الفتنة حتى حفظوا حضرته وأوجبوا له حرمة بمكابدة الشدائد حتى ألانها بضروب إحتياله (٤١) ، فكان يصلح بين ملوك الطوائف وبخاصة بين بنى عباد حكام إشبيلية وبنى الأفطس حكام بطليوس وكان يحاول جاهداً نشر السلام ، وكان محايداً فلم يذكر أنه دخل فى حرب مع أى من ملوك الطوائف حتى قيل عنه أنه كان حرماً يلجأ إليه كل خائف ، وظل على سياسته هذه حتى توفى سنة ٤٣٥هـ / ١٠٤٣م (٤٢) .

ويبدو من إختيار العامة فى كل من قرطبة وإشبيلية لحكام فقهاء تغلب عليهم الميول الدينية أن العامل الدينى كان يعتبر معياراً أساسياً ترضى به العامة إذا ماأتيحت لهم فرصة اختيار الحاكم السياسى ، كما يبدو أن رسوخ هذا المعيار فى ذهن هؤلاء العامة كان يرجع إلى جهود الفقهاء فى المقام الأول حتى و إن لم يظهر عناصر من الفقهاء على سطح الساحة السياسية .

---

(٣٨) سبقت الإشارة إلى ذلك عند الحديث عن القاضى أبو القاسم بن عباد .
(٣٩) ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٣ ، ص ١٨٧ .
(٤٠) درأ أى دافع بلين ولطف ، أنظر : إبراهيم أنيس ، عطية الصوالحى ، عبدالحليم منتصر ، محمد خلف الله أحمد: المعجم الوسيط ، المكتبة الإسلامية ، استانبول ، تركيا ،سنة١٩٧٢م ، جـ ١ ، ص١٧٦ .
(٤١) ابن الأبار : الحلة السيراء ، جـ ٢ ، ص٣٢ ، ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٣ ، ص ١٨٦ .
(٤٢) ابن سعيد : المغرب ، جـ ١ ، ص ٥٦ .

أما بالنسبة للدور السياسى لـ" أبى الوليد محمد بن جهور " فى قرطبة فقد تولى حكم قرطبة بعد وفاة أبيه سنة ٤٣٥هـ / ١٠٤٣م ولقب بالرشيد (٤٣) ، وسار على نهج أبيه فلم ينتقل من داره إلى قصر الخلافة ولم يتخذ زى الملوك ولا مظاهر الخلفاء ، ونشر السلام بين دول الطوائف ، وكان له دور جليل فى إصلاح ذات البين بين كل من إشبيلية وبطليوس كما سيتضح .

وقد تربى "أبو الوليد بن جهور" تربية دينية وشب متأثراً بالفقهاء وحفظ القرآن وأحسن تجويده وأتقن حروفه، وكان كثير التلاوة له ، ويبدو أنه قد تأثر بوالده فى هذا الشأن أيضاً . وتفقه فى الدين على يد " أبى المطرف القنازعى "(٤٤) و"يونس بن عبد الله بن مغيث " المعروف بابن الصفار (٤٥) ، والفقيه " أبو بكر التجيبى "(٤٦) ،و"أبو محمد مكى بن أبى طالب المقرى " (٤٧) . وقد تمسك " أبو الوليد " بالآذان فى المسجد وإمامة الناس فى الصلاة أسوة بوالده وتقرباً إلى العامة حيث كان تمسكه بهذا يؤكد تدينه . ومن الواضح أن سياسة أبيه فى التقرب إلى العامة من المنظور الدينى الذى كان يعد المعيار الأساسى

(٤٣) الحميدى : الجذوة ، ق ١ ، ص ٨٥ ، ابن بسام : الذخيرة ، ق١ ، جـ ٢ ، ص ٦٠٦ .
(٤٤) سبقت ترجمته .
(٤٥) يونس بن عبدالله بن مغيث كنيته أبو الوليد قاضى الجماعة بقرطبة وعرف بابن الصفار ، من أعيان أهل العلم سمع من أبى محمد بن معاوية القرشى ومحمد بن يبقى بن زرب ، كان زاهداً يميل إلى التحقيق فى التصوف له مصنفات عديدة منها كتاب (المنقطعين إلى الله) وكتاب (المتهجدين) وكتاب (النسب والتقريب) وكتاب (الموعب فى تفسير الموطأ) ، ولى القضاء فى مواضع كثيرة ، وسمع منه أبو الوليد الباجى ، وتولى قضاء الزهراء والزهرة ، وعاصر بنى أمية ، ثم تولى قضاء الجماعة فى عهد هشام المعتد ، توفى سنة ٤٢٩هـ . أنظر : الحميدى : الجذوة ، ق٢ ، ص ٦١٣ ؛ الضبى : بغية الملتمس ، حـ٢ ، ص ٦٨٨ ؛ القاضى عياض : ترتيب المدارك ، جـ٤ ، ص ٧٤٠ ، ٧٤١ ؛ ابن فرحون : الديباج ، جـ٢ ، ص ٣٧٤ .
(٤٦) أبو بكر التجيبى هو أبو بكر محمد بن موهب ، قرطبى مشهور ، وهو جد الفقيه أبو الوليد الباجى ، من العلماء الأفاضل الزهاد ، غلب عليه الكلام والجدل على نصرة أهل السنة ، له رحلة إلى المشرق ، وكان القاضى ابن ذكوان يفضله على باقى فقهاء عصره ، وله تآليف عديدة ، توفى سنة ٤٠٦ هـ . أنظر : القاضى عياض : ترتيب المدارك ، جـ ٤ ، ص ٦٧٤ .
(٤٧) أبو محمد مكى بن أبى طالب المقرى له كتب كثيرة فى علوم القرآن وغير ذلك من أهمها كتاب (الهداية فى التفسير) و (الكشف فى وجوه القراءات) و (إختصار الحجة) و (إعراب القرآن) و (الإيضاح فى ناسخه ومنسوخه) و (المأثور على مالك فى التفسير) و (التفسير والتبصرة والموجز) و (إختصار أحكام القرآن) و (الإيجاز واللمع فى الإعراب) و كتب أخرى ، وأصله من القيروان ، كان فقيهاً وأديباً ، رحل إلى المشرق وأقام بمكة ، جلس بالمسجد الجامع بالأندلس ، وتولى منصب الشورى إبان الدولة العامرية ، توفى سنة ٤٣٧هـ . أنظر: القاضى عياض: ترتيب المدارك ، جـ ٤ ، ص ٧٣٧ .؛ الديباج المذهب ، جـ ١ ، ص ٣٤٢ .

فى تقارب الحكام مع العامة قد أجدت فى إجماع الكثير من الفقهاء على تولية إبنه " أبى الوليد " خلفاً له وبخاصة وأن الإبن قد تحلى بالصفات التى كانوا يحرصون على وجودها فى الحكام ، كما أن الأمر يؤكد تأثير الفقهاء على الساحة الإجتماعية والسياسية ، وبهذا تولى " أبو الوليد " الحكم بإختيار شيوخ قرطبة له أملاً فى أن يسد الفراغ الذى تركه والده(٤٨) .

ونجحت سياسة " أبو الوليد " الداخلية إلى حد كبير فأقر الأمن والعدل وأقر المراتب على ماكانت عليه فى عهد أبيه ، كما تجنب الحدود ، وأحس الناس فى عهده بالراحة الإطمئنان ، وتميزت سياسته الداخلية بفك العقل السلطانية (٤٩) ، ورد أموال الناس إليهم ، ونظر فى المظالم الديوانية ، ورد الحقوق المالية للغائبين عن قرطبة حتى فاق والده فى هذا المجال ، وفى ذلك قال ابن بسام :"وبرز أبو الوليد فى فك العقل السلطانية وأنفذ الحكم فى المظالم الديوانية ، وعقار الغير عن قرطبة التى أجلتها الفتنة الغماء أشياء عظيمة القدر توقف والده عنها ، فأطلقها وردها إلى أربابها ، وشمل العالم الدعه"(٥٠)

وقد لعب " أبو الوليد بن جهور" دوراً فعالاً فى القضاء على الفتنة التى حدثت فى عهده بغرض إعادة الحكم الأموى مرة أخرى ، وكان المحرض عليها " أبن المرتضى " الذى كان قد خرج من قرطبة إلى الثغور ، وقد جمع حوله بعض الأعوان وأصبح يحلم بإعادة رسم الخلافة الأموية مرة أخرى إلى قرطبة ، فلما علم " أبو الوليد " بخبره أجبره على مغادرة قرطبة فتركها إلى حيث يستقر أبوه أملاً فى وجود أعوان يحققون له مطلبه ، وفى ذلك قال ابن بسام نقلاً عن ابن حيان :" وأما عثرة الأشراف الأموية ،فتقلب بها زمان،وغير أحوالهم الحدثان، وكان بقرطبة منهم طائفة غامضة الشخوص، باذة الهيئة،عارمة الأدب والمروة،

(٤٨) ابن خلدون : العبر ، جـ ٤ ، ص ٢٠٤ .
(٤٩) العقل هى الأحباس أو الديات ، وعقل أى حبس . أنظر : إبراهيم أنيس وعطية الصوالحى وعبدالحليم منتصر ومحمد خلف الله : المعجم الوسيط ، ص ٦١٦ .؛ المطرزى : المغرب فى ترتيب المعرب ، ت. محمود فاخورى وعبدالحميد مختار ، جـ ٢ ، مكتبة أسامة زيد ـ حلب ـ ١٩٨٢م ، ص٧٥ .
(٥٠) ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، جـ ٢ ، ص ٦٠٦ .

متطبعة بأخلاق العوام الغفل،أكثرهم من ولد الناصر معصوصبين بيعسيسب لهم من أبناء أمرائهم فى الفتنة يدعى ابن المرتضى ، أبوه كان صاحب البيعة بالثغر يومئ إليه بالأصابع" (٥١).

وقد استعان " أبو الوليد بن جهور " بوزير أبيه وصديقه " ابن زيدون " الذى كان محل ثقة أبى الحزم وحظى فى عهده بمكانة كبيرة لحسن تدبيره وذكائه ، ولكن بعض الحاقدين عليه وشوا به إلى أبى الحزم واتهموه بأنه من أنصار الدولة الأموية ، فسجنه أبو الحزم ، واستنجد " ابن زيدون " فى حياة أبى الحزم بصديقه " أبى الوليد " الذى رجا والده فى إطلاق سراحه ، ولكن أبا الحزم تمسك بموقفه وأصر على عناده ، فما كان من "ابن زيدون " إلا أن فر من السجن ، وظل " أبو الوليد " يسعى للإصلاح بين والده وصديقه حتى عفا عنه أبو الحزم ، وعاد إلى منصبه فى الوزارة حتى وفاة أبى الحزم. وقد تولى" ابن زيدون " الوزارة فى عهد " أبو الوليد " إذ عهد إليه بالنظر على أهل الذمة لبعض الأمور العارضة ، ثم رفع مكانه وضاعف أجره ، وعهد إليه بالسفارة بينه وبين الأمراء ، والترسل إليهم ، فلمع فى منصبه واشتهر ببراعة رسائله كما اشتهر بروائع نظمه (٥٢).

ولم تستمر العلاقة بين " أبو الوليد" و " ابن زيدون " على ما كانت عليه فما لبثت أن تعكرت بعد أن سعى الوشاة بينهما ، وبخاصة و أن " ابن زيدون " كان على علاقة بولادة ابنة " المستكفى " الأموى ، وعلى هذا فقد ألقى " ابن زيدون " فى السجن قرابة عام ونصف كان يحاول خلالها استعطاف " أبى الوليد " دون جدوى ، وقد ساعده بعض أعوانه

---

(٥١) نفس المصدر والصفحة

(٥٢) ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٣ ، ص ٢٣٢ ، ٢٣٣. ؛ ومن أقوال ابن زيدون فى مدح بنى جهور :

لولا بنو جهور ما أشرقت بهم غيد السوالف فى أجيادها تلع
قوم متى تحتفل فى وصف سؤددهملا يأخذ الوصف إلا بعض مايدع
أبو الوليد قد أستوفى مناقبهم فالتفاريق منها فيه مجتمع
مهذب أخلصته أولويته كالسيف بالغ فى إخلاصه الصنع
إن السيوف إذا ما طاب جوهرها فى أول الطبع لم يعلق بها الطبع

وأنظر أيضاً : محمد عبد الله عنان : دول الطوائف ، ص ٢٥ .

على الهرب من السجن ، ففر إلى إشبيلية وأقام فى كنف " المعتضد بالله بن عباد " الذى قربه إليه منذ سنة ٤٤١هـ-١٠٤٩م وحتى وفاته (٥٣) .

وكان لـ " أبى الوليد بن جهور" دور جليل فى إصلاح ذات البين بين مملكتى إشبيلية وبطليوس إذ كانت الخلافات ناشبة بين" المعتضد بن عباد "صاحب إشبيلية و"المظفر بن الأفطس"صاحب بطليوس والتى كان يرجع سببها إلى أن " عز الدولة أبو عبدالله محمد بن يحيى اليحصبى " صاحب لبلة كان حليفاً لـ " المنصور بن الأفطس " وولده "المظفر بن الأفطس" ، وقد استجار بالأخير لينقذه من " المعتضد بن العباد " ، ولم يكن "المظفر بن الأفطس " غافلاً عن سياسة " ابن عباد " التوسعية ، فاستجاب له وأرسل إليه جيشاً وأقبل بنفسه إلى لبلة ناصراً له سنة ٤٣٠هـ-١٠٣٨م،وفى ذلك قال ابن بسام نقلاً عن ابن حيان"وأول ما ظهر من تفاسد ابن عباد و المظفر أن ابن يحيى صاحب لبلة إستجار بالمظفر بن الأفطس فأجاره وأنزعج له ، ووصل يده وعطل ثغره ، وجمع جيشه وأقبل إلى لبلة ناصراً لابن يحيى مصغياً لمن خلفه ، يوقد نار فتنة ، كان فى غنى عنها حتى ترك بنفسه على ابن يحيى ودافع ابن عباد عنه " (٥٤) . وقد أغضب هذا الأمر " ابن عباد " الذى إعتبره تحدياً له فأرسل جماعات من فرسانه للإغارة على بطليوس فى غيبة صاحبها "المظفر" فعاثت فيها فساداً ، وكان " ابن عباد " يتوقع أن يهاب " ابن الأفطس " مواجهته

---

(٥٣) ابن زيدون هو أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن غالب بن زيدون المخزومى الأندلسى ، كان والده فقيهاً من أجل الفقهاء ترجم له القاضى عياض جـ ٤ ، ص ٧٢٣ ، ولابن زيدون أشعار كثيرة منها عتابه لبنى جهور :

بنو جهور أحرقتم بجفائكم ... فؤادى فما بال المدائح تعبق

تظنونى كالعنبر الورد إنما تطيب ... لكم أنفاسه حين يحتترق

وقد إنتقل إلى إشبيلية فعاش فى كنف المعتضد بالله ، ثم قربه إلى المعتمد على الله وأصبح ذا مكانة جليلة فى إشبيلية حتى توفى . أنظر : ابن خاقان : قلائد العقيان ، جـ ١ ، ، ص ٢٠٩ ـ ٢٣٧ .؛ الحميرى : الجذوة ، ق ١ ، ص ٢٠٥ ؛ ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، جـ١ ، ص ٣٣٦ ؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ١ ، ص ١٣٩ – ١٤١ ؛ جونثالث بالنثيا : تاريخ الفكر الأندلسى ، ص ٨٠ – ٨٦ ، ويلاحظ أن أبا الوليد بن جهور قد أستعان بالمؤرخ الأديب ابن حيان الذى كان شاهد عيان على الأحداث فى زمنه ، وقد عمل فى ديوان السلطان ، وله مؤلفات عديدة ، وردت ترجمته عند الحميدى : الجذوة ، جـ١ ، ص ١٨٨ ؛ الضبى : بغية الملتمس ، جـ١ ، ص ٦٧٩ ؛ مقدمة المقتبس : ت . محمود مكى ، نشر أنطونيا ؛ ابن بسام : الذخيرة ، ق١ ، جـ١ ، ص ٥٧٣ – ٦٠١

(٥٤) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٢ ، جـ ١ ، ص ٣٤ .؛ ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٣ ، ص٢١٠ .

وبلده تتعرض لهذه الغارة مما يضطره للعودة إليها ، ولكن " ابن الأفطس " لم يتحرك من موقعه بلبلة فزحف إليه "ابن عباد" واشتبك معه فى معركة عنيفة على أبواب لبلة تبادلا فيها النصر والهزيمة حتى دارت الدائرة فى النهاية على " ابن عباد " (٥٥) .

ولما أحس "أبو الوليد بن جهور" بسوء الموقف وخشى عاقبة الأمور أرسل له فى محاولة للإصلاح بينهما حتى قال عنه إبن عذارى أنه كان كفرعون موسى وعظاً وتذكرة ولكن " ابن عباد " أصر على ما فى رأسه ولم يستجب لنصائح "ابن جهور"، وأرسل جيشاً إلى بطليوس أغار عليها ، وحدثت موقعة بينه وبين " ابن الأفطس " قتل على أثرها عدد كبير من الجيشين الإشبيلى والبطليوسى، وكثر السلب والنهب والهرج كما وصف ابن عذارى (٥٦) .

على أن " ابن يحيى " صاحب لبلة قد غير موقفه واتجه إلى " ابن عباد "، فما كان من المظفر إلا أن أخذ ماله الذى كان قد تركه أمانة عنده أيام حربه مع المعتضد ، وأرسل " ابن الأفطس " جيشه إلى لبلة فضربها مما دعا " ابن يحيى " لأن يستنجد بـ" ابن عباد " الذى أرسل جيشاً ليواجه " ابن الأفطس ". وفى هذه الفترة كان " أبو الوليد بن جهور" يوالى إتصالاته بالطرفين ويرسل لهما الرسل للإصلاح بينهما دون جدوى ، ونجح "المعتضد" فى فتح بعض الحصون ولكن جيشه عانى من المجاعة كما ضعف جيش " ابن الأفطس " ولم يصبح قادراً على التصدى لـ " ابن عباد " ولم يبق بيده سوى الشكوى لملوك الطوائف فلم يستجب له أحد .

وفى النهاية أحس الفريقان ، بعد أن أضعفتهما الحروب ، بصدق حدس " ابن جهور " ورجاحة رأيه فاستجاب الطرفان للصلح وفى ذلك قال ابن عذارى :" فامتد شأو

(٥٥) ابن بسام : نفسه ، ص ٣٥ .؛ سحر سالم : تاريخ مدينة بطليوس ، ص٣٩٩ .
(٥٦) ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٣ ، ص ٢١٠ .؛ خالد الصوفى : تاريخ العرب فى اسبانيا ـ جمهورية بنى جهور ـ ، دمشق المطبعة التعاونية، سنة ١٩٥٩م ، ص ٨٢ ، ٨٣ .

obeikandl.com

هذين الأميرين يومئذ فى الغى ، وتباريا فى القطيعة حتى أفنيا العالمين ، إلى أن سن الله الصلح بينهما فى ربيع أول سنة ٤٤٣هـ١٠٥١م بسعى ابن جهور أمير قرطبة " (٥٧) .

على أن " المعتضد بن عباد " لم يكف عن الحروب فاستدار إلى صغار الأمراء ."ابن يحيى" و" ابن هارون " و " ابن مزين " و" البكرى " فظفر عليهم واستولى على إماراتهم فلاذوا بالفرار إلى قرطبة فى كنف " ابن جهور " ، كما هاجم " ابن عباد " الجزيرة الخضراء التى كانت تحت حكم " القاسم بن حمود " فسقطت فى يده ، ولحق "القاسم بن حمود" بقرطبة ليعيش هو الآخر فى كنف " ابن جهور " (٥٨) .

أما بالنسبة لـ " عبدالملك بن محمد بن جهور " فقد تولى حكم قرطبة سنة ٤٥٦هـ ١٠٦٣م ، وقد خالف نهج أبيه وجده فاتخذ مظاهر الخلفاء ، كما اتخذ لقب "ذوالسيادتين المنصور بالله الظافر بفضل الله " (٥٩) . وقد تعرضت قرطبة سنة ٤٦٢هـ١٠٧٠م لهجمات " المأمون بن يحيى بن ذى النون " الذى تمكن من الإستيلاء عليها فما كان من " عبدالملك بن جهور " إلا أن استعان بحاكم إشبيليه " المعتمد على الله بن عباد " الذى كان يترقب الفرصة للتدخل فى شئوون قرطبة الإستيلاء عليها (٦٠) ، فأرسل " المعتمد بن عباد " جيشاً إلى قرطبة لإغاثتها ، وبالفعل رحل " المأمون بن ذى النون " عن قرطبة ، وانتظر " عبدالملك بن جهور " عودة الجيش الإشبيلى وتأهب لوداعه لكن الجيش الإشبيلى أعلن إستيلاءه على قرطبة بعد أن ظهر ضعف " عبدالملك بن جهور" وسوء حالة قرطبة على يديه

(٥٧) ابن عذارى : نفسه ، ص ٢١٣ .
(٥٨) ابن عذارى : نفسه ، ص ٢١٥ .
(٥٩) كان لابى الوليد محمد بن جهور ولدان الأكبر عبد الرحمن والأصغر عبدالملك ، وكان أبو الوليد يؤثر ابنه الأصغر ولكنه لم يكتب له بيعة بولاية العهد من بعده ، وقد أحدث هذا الأمر تنافساً بين الأخوين على السلطة ، فلما اشتد النزاع بينهما مال أبو الوليد إلى قسمة الرياسة بينهما فى حياته ، فجعل للأكبر النظر فى أمر الجباية والإشراف على أهل الخدمة وعلى النفقات ، أما الأصغر فله النظر فى الجند وتولى عرضهم والإشراف على أمورهم وكل مايخصهم . أنظر : ابن بسام : الذخيرة ، ق ٢ ، جـ١ ، ص ٦٠٨ ؛ خالد الصوفى : جمهورية بنى جهور ، ص ١٨٧ .
(٦٠) سبق أن حاول المعتضد بن عباد الإستيلاء على قرطبة لكن إبنه إسماعيل لم يقتنع بالفكرة وخالف أمر أبيه ولم ينفذ رغبته ، وظل المعتضد يتحين الفرصة لتحقيق أطماعه حتى وفاته سنة ٤٦٢ هـ مما أتاح لقرطبة أن تنعم بالحكم المستقر بعيداً عن بنى عباد . أنظر : دوزى : ملوك الطوائف ، ت. كامل كيلانى ، الفصل الخاص ببنى عباد .

وذكر أن أهالى قرطبة كانوا وراء الإستغاثة بالجيش الإشبيلى أملاً فى أن يتدخل لإنقاذهم من حكم " عبدالملك " فاستجاب لهم (٦١) .

على أن سبب استغاثة أهالى قرطبة بالجيش الإشبيلى ترجع ، كما سبق الذكر إلى فساد " عبدالملك بن جهور " الذى استغل أموال قرطبة لحسابه الخاص حتى عانت قرطبة من سوء الأحوال الإقتصادية وبخاصة بعد أن دخلها " المأمون بن ذى النون" (٦٢) وقد أوصى" المعتمد بن عباد " عسكره بخلع " عبدالملك بن جهور " وإخراجه من قرطبة حبث أعتقل بشلطيش (٦٣) ، أما " أبو الوليد " فقد آوى إلى مقصورة هو ونساؤه ، ولكن قوماً من النصارى نهبوا المقصورة وأسروه ، ثم عطف عليه الجيش الإشبيلى فأبقاه فى دار صغيرة حتى أمر " المعتمد بن عباد " بإخراجه من قرطبة (٦٤) ، وبهذا تم القضاء على دولة بنى جهور وضم قرطبة إلى بنى عباد فى إشبيلية .

٢. بنو جهور والمواقف السياسية لبعض الفقهاء

أ. القاضى أبو بكر محمد بن أحمد بن هرثمة بن ذكوان

كان من بيت فقه ووزارة ، فوالده " أبو العباس أحمد بن عبدالله بن هرثمة بن ذكوان " من أشهر قضاة الجماعة بقرطبة ، فقد ولاه القضاء " المنصور بن أبى عامر " وكانت له مكانه جليلة عنده فاقت حتى مكانة الوزراء ، فقد أشار النباهى إلى أنه كان له

(٦١) السيد عبدالعزيز سالم : قرطبة حاضرة الخلافة ، ص ١٣٧ . حيث أشار إلى أنه لولا مساعدة أهالى قرطبة للجيش الإشبيلى لما تمكن من الإستيلاء على قرطبة وإنهاء حكم بنى جهور

(٦٢) محمد عبدالوهاب خلاف : قرطبة فى القرن الخامس الهجرى ، ص ٣٢ .

(٦٣) شلطيش Saltes تقع قرب مدينة لبلة على البحر المتوسط ، وهى جزيرة لاسور لها ولاحظيرة وبنيانها نصف رمية حجر ، وطول الجزيرة ميل أو يزيد ، وتقع فى جهة الجنوب ، ولها أرباض واسعة ومراع خصبة ، كما أنها مرفأ للسفن ودار لصناعة الحديد ، يسكنها جماعة من النصارى . أنظر : الحميرى : الروض المعطار ، ص ٣٤٤،٣٤٣ .

(٦٤) ابن عذارى : البيان المغرب ، ص ٥٦٠ .؛ يوسف أشباخ : تاريخ الأندلس فى عصر المرابطين والموحدين، ت. محمد عبدالله عنان ، مكتبة الخانجى، القاهرة ، سنة١٩٥٨م، ص٥٢ .

بيت خاص فى القصر (٦٥) . كما أنه تولى وظائف أخرى بجانب القضاء منها خطة الرد(٦٦)، وخطة المشاورة فى الأحكام (٦٧) ، وخطة الصلاة أيضاً (٦٨) . وظل على ذلك فى عهد " المظفر بن أبى عامر " حتى حدث خلاف بينه وبين الوزير، فدبر له الوزير مكيدة أفسدت ماكان بينه وبين المظفر فعزله عن القضاء لفترة ، ثم عاد إليه مرة أخرى بعد أن إزدادت مكانته رفعة إلى أن مات " عبدالملك المظفر " وتولى بعده " عبدالرحمن شنجول " الذى ولاه الوزارة إلى جانب القضاء ، كما تولى قضاء القضاه وأصبح أول من لقب بقاضى القضاه، وظل هكذا حتى نهاية الدولة العامرية فخلع عنه " المهدى " هذا اللقب واكتفى بلقب قاضى الجماعة (٦٩) .

على أنه إبان الفتنة القرطبية بدت ميول "ابن ذكوان" فى المصالحة مع البربر فاتهم بالميل إليهم مما دعا الخليفة أن يطرده من قرطبة بإيعاز من وزيره " واضح " فرحل وأهله إلى المرية ، وتأثر العامة برحيله ، ولما قتل الوزير عاد إلى قرطبة ولكنه لم يقبل خطة القضاء حتى توفى سنة ٤١٣هـ١٠٢١م (٧٠) .

---

(٦٥) النباهى : تاريخ قضاة الأندلس ، ص ٨٨ .؛ وقد ذكر الزركلى : أن مكانة هذا الفقيه قد فاقت مكانة الوزراء فكان يلازم المنصور فى رحلاته وغزواته ، أنظر : الأعلام ، جـ ١ ، ص ١٥٦

(٦٦) خطة الرد من الخطط القضائية التى تميز بها القضاء فى الأندلس إذ أنها لم تظهر فى المشرق الإسلامى ، وهى تخول لمسئوليتها سلطة إنفاذ الأقضية ، وكان متوليها يسمى صاحب الرد لأنه كان يحكم فيما إستر ابه الحكام والقضاه وردوه عن أنفسهم ، وقد كان لصاحب الرد منزلة عالية ومكانة عظيمة لدى ولاة الأمر فكانوا يستندون إليه حق محاسبة القادة والعمال والخروج إلى الكور للتحقيق فى شكايات الرغبة مع العمال . أنظر : النباهى : تاريخ قضاة الأندلس ، ص ٥ .

(٦٧) خطة المشاورة فى الأحكام يندب إليها لاسيما فى الأمور المشتبهة حتى يتنبه القاضى بمذاكرة العلماء ومناظرتهم على نحو مايجوز أن يخفى عليه من الأدلة ويستوضح بهم طريق الإجتهاد ويتواصل إلى غوامض المعانى ، و المشاورون هم جماعة من كبار الفقهاء يختارهم قاضى الجماعة أو ولى الأمر للمعونة فى توضيح الأحكام . أنظر: القاضى عياض : ترتيب المدارك ، جـ ٣ ، ص ٤٢٥ .

(٦٨) خطة الصلاه من الخطط الوثيقة الصلة بالقضاء ، فهى إمامة الصلاة العامة لاسيما فى الجامع الكبير بقرطبة أو مدينة الزهراء وذلك فى أيام الجمع والأعياد ، وهى من الخطط التى تفرد بها الأندلس والمغرب ، وإذا أضيفت لوظيفة القاضى علا شأنه وسمت منزلته . أنظر : النباهى : تاريخ قضاة الأندلس ، ص ٦ .

(٦٩) القاضى عياض : ترتيب المدارك ، جـ ٤ ، ص ٦٦٢ . ولقب قاضى القضاه أستخدم فى المشرق ولكن يبدو أن استخدامه فى الأندلس كان يعنى أنه أعلى من قضاء الجماعة ، ويبدو أن أبا العباس كان من الفقهاء الذين أفتوا لدى هشام بولاية العهد لعبد الرحمن بنى أبى عامر . أنظر : ابن الأبار: الحلة السيراء ، جـ ١ ، ص ٢٧٢ .

(٧٠) الحميدى : الجذوة، ق ١ ، ص ٢٠٤ .؛ الضبى : بغية الملتمس ، جـ ١ ، ص٢٣٢.؛ابن سعيد: المغرب ، جـ ١ ، ص٢١٥ . ويعد هذا الفقيه من أبرز فقهاء القرن الرابع مشاركة فى الحياة السياسية .

وقد ذكر ابن بشكوال أن القاضى"ابن ذكوان" قد تولى القضاء بإجماع أهل قرطبة(٧١) ، ويبدو أن حكم الشورى الذى ساد قرطبة فى هذه الفترة قد شمل القضاء أيضاً حيث أصبح من حق العامة إختيار الفقيه الذى يفضلونه لمنصب القضاء وبخاصة إذا كان من بيت علم وفضل .

وقد روى القاضى " أبوبكر بن ذكوان " عن كل من الفقيه " أبى المطرف القنازعى" و " يونس بن عبدالله "، وكان الفقيه " ابن ذكوان" من أهل الحفظ والنباهة والذكاء الذين عنوا بالعلم واقتناء الكتب (٧٢) .

أما عن مواقف هذا الفقيه السياسية فقد كان له موقف ضد الحاكم " أبا الحزم بن جهور" الأمر الذى أدى إلى عزله من القضاء ، وكان هذا الموقف يتلخص فى رغبة " أبى الحزم بن جهور" فى الحصول على مال الأوقاف لينفقه على المصالح فرفض القاضى "ابن ذكوان " قبول طلبه فعزله (٧٣) ، ولعل فى ذلك مايشير إلى عدم إخضاع بعض الفقهاء الأمور الشرعية لرغبات الحكام السياسيين . وقد مات هذا الفقيه فى نفس العام الذى مات فيه " أبو الحزم بن جهور" إثر تولية صديقه " أبوالوليد بن جهور " الحكم وكان عمره أربعين عاماً (٧٤) ، وبشكل عام كان " ابن ذكوان " من أكثر فقهاء المالكية مشاركة فى الحياة السياسية إبان هذه الفترة (٧٥) .

---

(٧١) يرجع القاضى ابن ذكوان إلى أصل بربرى فهو من موالى بنى أمية الذين سكنوا فحص البلوط ابن سعيد : المغرب ، جـ ١ ، ص٢١٥ حيث ذكر أن العامة قد هتفوا باسم ابن ذكوان ليتولى القضاء فى عهد ابى الحزم بن جهور وألحوا عليه حتى قبل المنصب .؛ ابن بشكوال : الصلة ، جـ ١ ، ص٤٩٧ .

(٧٢) ابن بشكوال : الصلة ، جـ ١ ، ص ٤٩٧ .

(٧٣) القاضى عياض : ترتيب المدارك ، جـ ٤ ، ص ٧٨٥ .

(٧٤) كان للقاضى أبو بكر بن ذكوان أخ يدعى محمد وكنيته أبو حاتم ، تولى قضاء الجماعة فى قرطبة ثم تولى أحكام المظالم ، وكان كأخيه فى حسن أخلاقه ، توفى سنة ٤١٤هـ . أنظر : ابن بشكوال : الصلة ، جـ ١ ، ص ٤٧٧ . وتجدر الإشارة أن ابن زيدون قد رثى ابن ذكوان فى شعره

(٧٥) أنظر : ابن خاقان : قلائد العقيان، جـ ١ و جـ ٢ ، ص ٢١٨ ، ٢١٩ .؛ ابن سعيد : المغرب ، جـ ١ ، ص ٧٠ .

ب. الفقيه يحيى بن محمد بن يبقى بن زرب

تولى هذا الفقيه القضاء بعد "ابن ذكوان "وكانت كنيته " أبو بكر" ، سمع من القاضى " يونس بن عبدالله " و غيره من الفقهاء(٧٦) ، وقد قلده "أبو الوليد بن جهور" القضاء وأحكام الصلاة والخطبة، ويبدو أن" أبا الوليد بن جهور"كان حريصاً على اختيار القضاة بنفسه فكان يتخير أبناء الفقهاء المعروفين أصحاب البيوتات المشهورة أوالعريقة فى العلم والفقه، ولكن من الملاحظ أن مسألة إختيار العامة للقضاه كانت من مميزات عصر"ابن جهور" وكانت دليلاً على أن بنى جهور كانوا يقدرون الفقهاء لدرجة أنهم كانوا يصلون على الفقهاء بعد موتهم ويسيرون فى جنائزهم مثلما حدث مع " يحيى بن محمد بن يبقى بن زرب"عند وفاته سنة ٤٤٧هـ١٠٥٥م (٧٧)

جـ. الفقيه حسن بن محمد بن ذكوان

ولاه"أبو الوليد بن جهور"القضاء تقديراً منه لبيت ذكوان وعراقته واعترافاً بمكانة والده " أبو بكر" ولكن يبدو أنه لم يكن على نفس قدر أبيه وجده ، رقاه " أبو الوليد بن جهور" إلى أحكام الشرطة والسوق رغم ضآلة علمه، وقد أشار ابن بشكوال إلى أن أشياء ظهرت منه دفعت " ابن جهور" إلى صرفه عن القضاء وبقى معطلاً دون عمل فى داره لا يخرج منها إلا للذهاب إلى المسجد حتى توفى سنة ٤٥١هـ١٠٥٩م(٧٨).

د. الفقيه محمد بن عتاب بن محسن (أبوعبد الله)

من أهل قرطبة وكان يعد شيخ المفتيين بها ، سمع من كثيرين مثل " أبو عمر الطلمنكى " و " أبو محمد مكى " و القاضى " يوسف بن عبد الله "، وروى عن "القنازعى" و " ابن وافد "و" ابن الحداد " و القاضى "عبد الرحمن بن بشر"، وكان "أبو عبد الله " فقيهاً عالماً عاملاً ورعاً عاقلاً بصيراً بالحديث وطرائقه ، عالماً بالوثائق وعللها ولم يأخذ عليها أجراً

(٧٦) ابن بشكوال : الصلة ، جـ ٢ ، ص ٦٣٢ .
(٧٧) ابن بشكوال : نفس المصدر والصفحة . وقد ولد هذا الفقيه سنة ٣٨٢ هـ .
(٧٨) ابن بشكوال : نفسه، جـ ١ رقم ٣١٢ ، ص ١٣٦ . وقد عرف هذا الفقيه بأبى على .

قال عنه " أبو الأصبغ عيسى بن سهل " أنه كان إماماً جليلاً متصرفاً فى كل باب من أبواب العلم ، وكان متواضعاً يشترى كل حوائجه بنفسه، واحتل مكانة جليلة حتى أن " أبو الوليد بن جهور " كان ينزل إلى مسجده فى بعض الأحيان ، ويستشيره فى أهم الأمور ويأخذ رأيه فى المسجد ، وربما كان " ابن جهور " يجمع له بقية فقهاء الشورى فيقضى قضاءه وينفذ أحكامه فى المسجد . وقد دعى للقضاء أكثر من مرة فامتنع ولم يقدر عليه بشئ ، كما دعى لتولى الشورى فى شبابه وقدمه لذلك " أبو المطرف بن بشر " فأبى لأنه كان يهاب الفتوى ويخاف عاقبتها . وطلبه أهل طليطلة وأهل المرية للقضاء لكنه رفض وقد رغبه " أبو الوليد بن جهور " بنفسه ولاطفه قدر جهده فلم يقدر عليه . وقد ذكر أنه عندما مات وجد فى بيته صندوق مغلق أوصى بألا يفتح إلا بعد موته ، وحينما فتح بعد موته فإذا به يحتوى على أربعة رسائل من أربعة حكام هم " ابن عباد " و " ابن الأفطس " و " ابن صمادح " و " ابن هود " دعاه كل منهم للقضاء ببلده ورد عليهم :" تركت هذا لله "وقد توفى سنة ٤٦٢هـ / ١٠٧٠م وعمره ثمانون عاماً (٧٩) .

هـ. الفقيه أبو الحسن إبراهيم محمد بن يحيى (ابن السقاء)

كان من بين الفقهاء الذين استعان بهم "أبو الوليد بن جهور" وكان ذا شخصية متميزة لها تأثير سياسى كبير، لقد تغيرت حالته من الفقر إلى الغنى حيث كان يعمل فى بادئ الأمر ناظراً للأحباس، وأتاحت له وظيفته هذه الانخراط فى مجتمع الفقهاء والقضاة ثم تولى النظر بالمسجد الجامع (٨٠) . ومن المسجد الجامع بدأ نجمه يسطع وبخاصة أنه كان يتحلى بالذكاء والفطنه وبعد النظر ، فتقرب لـ " أبو الوليد الباجى " حيث حاز على

(٧٩) القاضى عياض : ترتيب المدارك ، جـ ٤ ، ص ٨١٠ ـ ٨١٣ .؛ ابن بشكوال : الصلة ، جـ ١ ، ص ٥١٥ ، ٥١٦ ابن سعيد : المغرب ، جـ ١ ، ص١٦٥ وقد ذكر أن محمد بن عتاب عاش أيام دخول المعتمد بن عباد قرطبة وتوفى بعد ذلك .

(٨٠) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٤ ، جـ ٢ ، ص ٢٣٨ .

ثقته فقربه إليه ، وتدرج فى ذلك حتى أصبح مدبر دولة بنى جهور ورجلها الأول (٨١) . وقد وصف ابن حيان أحواله فى بداية ظهوره فقال :" وقد كنت كتبت من وصف ظاهر محاسنه أول إعتلاقه بقهرمة أميرنا محمد بن جهور ، وعددت من حسان خصاله مالم يبعد عن الصدق عنه ، لأخذنا بظاهر ماتموه فى العيون وقت بنائه لنفسه وتنفيقه لكساده ، من طأة الخلق ، وحس الإحتمال ولين الحجاب وخطة المواطأة وجودة الواسطة " (٨٢) . وهكذا احتال " ابن السقا " حتى وصل إلى غرضه ، فأصبح من المهابين فى قرطبة ونال شهرة واسعة وذلك لتمرسه فى الشئوون المالية والإدارية ، ولقوة شخصيته التى مكنته من التفوق على " أبى الوليد بن جهور " مكانة وسلطة ، حتى أن ابن حيان أرجع إليه الفضل فى استمرار دولة بنى جهور وذلك لنجاحه فى المحافظة على استقرار الأمن بقرطبة منذ عهد " أبو الحزم بن جهور " فضرب بشدة على أيدى المفسدين وسار على سياسة " أبو الحزم " الخارجية من حيث التزام الحياد مع دويلات الطوائف (٨٣) .

والحقيقة أن " ابن حيان " قد ناقض نفسه فى الحديث عن " ابن السقاء " فتراه يمدحه فى بادئ الأمر ثم يعود ليذمه مرة أخرى ، وقد انتقده فى ذلك " ابن بسام " (٨٤) .

ولـ"ابن حيان" العذر فى رأيه فى هذا الفقيه حيث كانت شخصيته متلونة أخفت حقيقتها وتظاهرت بصفات أخرى ليست فيها حتى وصل إلى هدفه فظهرت طبيعته فسرعان ماتغيرت أخلاقه وتحول إلى التكبر والغطرسة والاستخفاف بالمظالم وتولى أمر

(٨١) أطلق على ابن السقا عدة ألقاب وهى مدبر قرطبة ، ومدبر الملك الجمهورى ، وقيم دولة بنى جهور ، والأمين ووزير دولة بنى جهور ، أنظر ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، جـ ٢ ، ص ٧٦٧ .؛ ابن عذارى : البيان ، جـ ٣ ، ص ٢٥٦ .؛ ابن خلدون : العبر ، جـ ٤ ، ص ١٥٩ .؛ رضوان البارودى : ابن السقا القرطبى مدبر دولة بنى جهور بقرطبة ، ص ٤، ٥ .

(٨٢) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٤ ، جـ ٢ ، ص ٢٣٨ .

(٨٣) خالد الصوفى :جمهورية بنى جهور ، ص ٧٦ .؛ رضوان البارودى : ابن السقا القرطبى ، ص٦ ، ٧ .

(٨٤) ابن حيان : المقتبس ت. محمود مكى ، ص ٤٩ .؛ ابن بسام : الذخيرة ، ق ٤ ، جـ٢ ، ص٢٣٩ .

ديوان الخراج وسيطر عليه وعلى مابه واتخذ له جنداً خاصاً من أراذل العامةوبلغ به العصيان إلى حد أنه اتخذ له داراً بها الغلمان سميت دار اللذة (٨٥) .

وبلغت قوة قبضته على البلاد درجة دعت"المعتضد عمر بن عباد " لأن يحقد عليه حيث أن ذلك مكنه من حماية قرطبة التى كان يتطلع إليها " المعتضد " طمعاً ، ولم يجد " ابن عباد " من وسيلة للإستيلاء عليها سوى بالتخلص من " ابن السقاء "، فأوعز إلى" عبدالملك بن محمد بن جهور " ـ الذى أوكل إليه أبيه قسطاً من الحكم ـ بالتخلص منه لسوء سيرته وحجبه لبنى جهور ، واستبداده بالأمر دونهم ، فتربص له " عبد الملك " وجماعة من جنده فى قصر أبيه ـ أبى الوليد ـ حيث كان يعلم بميعاد مجيئه وقتله ومن معه ثم حز رأسه وطافوا بها على طرف رمح وتركوها للعامة ليعبثوا بها معبرين عن فرحتهم بالتخلص من ذلك الطاغية وكان ذلك سنة ٤٥٥هـ / ١٠٦٣م (٨٦) .

وقد علا شأن "عبدالملك " بعد قتله لـ " ابن السقاء " الذى كانت تمقته العامة فى قرطبة لتجبره عليهم ، وقد ذكر ابن بسام نقلاً عن ابن حيان أن " أبا الوليد بن جهور " قد حزن على وزيره حينما علم بمقتله ونهر ابنه على فعله (٨٧) .

أما ابن عذارى فقد رأى أن " أبا الوليد بن جهور " كان على علم بتدبير ابنه لقتل " ابن السقاء " ، كما أنه لم يحزن على وفاته بل دخل الناس يهنئونه على التخلص منه حيث كان يريد الخروج عليهم والقيام بهم ، أى أنه كان يدبر للقيام بثورة ضدهم ، وعلى هذا فقد وافق ابنه على التخلص من هذا الفقيه (٨٨) . ونميل إلى الأخذ برأى ابن عذارى فى أن " أبا الوليد بن جهور" كان على علم بتدبير ابنه لقتل وزيره وأنه وافقه على ذلك لحجبه للأمر دونهم واستئثاره بالسلطة ولتدبيره للقيام بثورة عليهم للتخلص منهم والانفراد بحكم قرطبة

(٨٥) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٤ ، جـ ٢ ، ص ٢٤٣ .
(٨٦) ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٣ ، ص٢٥١ .
(٨٧) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٤ ، جـ ٢ ، ص ٢٤٣ ، ٢٤٤ .
(٨٨) ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٣ ، ص ٢٥١ .؛ إبراهيم بيضون : الدولة العربية فى أسبانيا ، ص ٣٦٠ .

وهى نفس الأسباب التى ذكرها ابن عذارى ، وإذا لم يكن "أبو الوليد بن جهور" على علم بهذه الحادثة ما تجرأ ابنه على إغضابه وتحديه بقتل وزيره وفى قصره وكان إقدام " أبو الوليد "وابنه على قتل " ابن السقاء " ما أحسوه من مقت العامة وكرههم الشديد له لتجبره عليهم وسوء معاملتهم وإنحرافه عن السلوك القويم الذى ألفوه فى الفقهاء فكان الإقدام على قتله سعياً من بنى جهور على إرضاء العامة وحفاظاً على وجودهم السياسى .

أما عن موقف الفقهاء من" ابن السقاء " فقد اختلفوا فى مسألة تنفيذ وصاياه فحكم " ابن سهل " بأنه لاتنفذ وصايا " ابن السقاء " قيم دولة بنى جهور إلا فيما علم ملك له لأنه ثبت أنه كان من أهل الإستطالة فى الأموال والإستبداد بها وأنه كان مقلاً (٨٩) وقد توفى ثرياً ، ولذلك أفتوا بأن جميع ماتركه يعود لبيت مال المسلمين إلا ماعلم صحة ملكه (٩٠) . وتبين للقضاة أن جميع ماتركه " ابن السقاء " منهوب من أموال المسلمين فيما عدا الدار التى يسكنها الجد " يحيى " بحاضرة قرطبة والحانوت الذى بيد شقيقه "سالم" وماعدا ذلك يعود إلى بيت مال المسلمين (٩١) .

كما اعتبر الفقهاء أن أحكام " ابن السقاء " الفقهية غير جائزة لأنه كان من أهل الجور والاعتداء ، مثال ذلك ماحدث عندما تقدمت امرأة مملوكة لـ "ابن السقاء " تدعى الحرية وشهد لها شاهدان من سبتة وكتب لها " ابن السقاء " سجل بذلك ، فلما هلك "ابن السقاء" لم يعترف القاضى بالسجل وقال أن أحكام " ابن السقاء " غير جائزة عندى، كما ذكر الفقيه " ابن القطان " أن أحكام " ابن السقاء " مردودة لايجوز إمضاؤها ويجب ردها ونقضها لأنه كان من أهل الجور والإعتداء (٩٢) .

---

(٨٩) مقلاً : قصد بها فقيراً .
(٩٠) الونشريسى : المعيار المعرب والجامع المغرب فى فتاوى الأندلس والمغرب ، ت.محمد حجى ، جـ ٧ ، ص١٧٧ .
(٩١) ابن سهل : مخطوط الأحكام الكبرى (الإعلام بنوازل الأحكام) ، ص ١٩١ .
(٩٢) الونشريسى:المعيار المعرب،جـ ٩، ص٢٢١؛ محمد عبد الوهاب خلاف :تاريخ القضاء فى الأندلس، ص ١٢٨.

وإذا كان " ابن السقاء " يعد وجهاً سيئاً للفقهاء إلا أنه لم يكن يمثل ظاهرة بينهما حيث أنه تحول إلى مغامر سياسى بعيداً عن الالتزام بمنهج الفقهاء، ولعل ابتهاج العامة وكذا شيوخ قرطبة بمقتله يؤكد ذلك ، كما أن منهجه السياسى الذى بعد به عن رضا العامة وتسلطه عليهم بواسطة أعوانه من سفلة الرعية هو الذى أودى بحياته فى آخر الأمر كما سبق التوضيح .

و- الفقيه أبو مروان عبدالملك بن زيادة الله الطبنى

يرجع أصل هذا الفقيه إلى بيت الطبنى الطارئ على قرطبة الذين استقروا بها فى عهد الدولة الأموية، وكان والده أول من بنى لهم بيت شرف فى الأندلس، وكان نديماً لـ "محمد بن أبى عامر" حيث أشتهر عنده بأشعاره (٩٣) .

أما ابنه " أبو مروان الطبنى " فكان صاحب فقه وحديث ورواية واهتمام باللغة العربية وبراعة فى الشعر والأدب (٩٤) ، ولكنه كان مع ذلك بخيلاً شديد التقتير على نفسه وعلى أسرته ، رغم إشارة ابن حيان إلى أنه كان يتقاضى راتباً كبيراً من السلطان "أبى الوليد بن جهور " عوناً على صيانته ، ولا يعرف سبب هذه المساعدة من قبل "أبى الوليد" هل تعود لأنه كان شاعراً أم لكونه فقيهاً ومحدثاً . وقد أسهب ابن حيان فى وصف بخل هذا الفقيه وتظاهره بالفقر مما أفزع نساءه منه وحنقهن عليه ، كما أنه أستوحشهن واعتزلهن فكن يقمن فى قعر الدار بينما ينفرد هو بنفسه فى الطابق العلوى فى الدار ولم يقرب إليه سوى ولده الأصغر الذى كان ضعيف العقل والأعضاء ولا أم له وظل هكذا حتى أصبح بمكانه مقتولاً فى ربيع الآخر سنة ٤٥٦هـ١٠٦٤م ، وتظاهر نساؤه وابنه الأكبر بالحزن والنواح عليه حتى علم "أبو الوليد بن جهور" بالأمر وأوقع التهمة بالأبن

(٩٣) ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، جـ ١ ، ص ٥٣٦ .

(٩٤) ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، جـ ١ ، ص٥٣٩ .؛ السيوطى : بغية الوعاه فى طبقات اللغويين والنحاه ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر ، الطبعة الثانية ،سنة١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م جـ ٢ ، ص١٠٩ . وقد ذكرت المصادر أن هذا الفقيه قد رحل إلى المشرق وسمع من فقهاء مصر والحجاز ، وهو من شيوخ أبى على الغسانى وكتب إلى أبى المطرف القنازعى ويونس بن عبدالله بن الصفار .

الأكبر الذى عرف بدماثة الخلق ، وأوكل " أبو الوليد بن جهور " الأمر لصاحب المدينة "محمد بن هشام " المعروف بالحفيد للنظر فى هذه المسألة ، فنهض صاحب المدينة إلى دار القتيل فألفاه مذبوحاً بأكثر من ستين ضربة سكين ووجد ثيابه مخبأة فى إحدى أركان الدار والسكين ملقى فى غرفة ، ولم يجد أثراً لدخول أو خروج من الدار فحصر ارتكاب الجريمة فى أهل هذه الدار ، كما وجدت آثار دم على سراويل بعض نسائه ، وباستجوابهن قالت إحداهن "هذه قتلته وأعناها نحن " .

أما الأبن الأصغر فقال أن أباه قتلته اللصوص ثم عاود فقال أن أمرأة القتيل وابنتيها قتلته بمعاونة الأبن الأكبر " زيادة الله " (٩٥) الذى قال عنه ابن حيان :" زيادة الشر " ، فاضطر صاحب المدينة إلى هتك حجاب القتيل فى نسائه وضرب أم ولده الفاجر " زيادة الشر " فاعترفت بتفاصيل الحادث ودفن القتيل بعد يوم من موته (٩٦) ، وكانت جنازته مشهودة من قبل العامة فى قرطبة الذين أحبوه وحزنوا على موته وأخلصوا الدعاء له كدأبهم فى إحترام الفقهاء وتبجيلهم ، وأفتى الفقهاء بإطالة سجن المتهمين مع الضرب المبرح ، وكان رأى الفقيه " ابن القطان " الوقوف على آفة الإبن الأصغر هل هى فى عقله أم فى جسده ومعرفة سبب تغير أقواله .

أما الفقيه " ابن عتاب " فكان يرى أنه لا قتل على من كان معه فى الدار من نسائه وأبنائه إلا أن كل واحد منهم عليه القسامة لأنه لم يقتله أو يشارك فى قتله ثم يطال سجنهم ، واعتبر قول المرأة عن الأخرى هذه قتلته أعناها نحن قولاً محتملاً أن تكون تعنى معاونة بقول أو فعل كانت عاملاً فى قتله ، وأنها لم تقل ذلك إلا بدافع الفزع بعد أن استجوبتها الشرطة ، ورأى الفقيه " ابن سهل " ما كان يتوافق مع رأى أستاذه " ابن

(٩٥) ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، جـ ١ ، ص ٥٣٩ .؛ الونشريسى : المعيار المعرب ، جـ ٢ ، ص٣٢٥ .
(٩٦) ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، جـ ١ ، ص٥٣٩ .

عتاب " ، وقال " ابن القطان " و" ابن مالك " أنه على ابنه الضعيف القيام بالدم لتعارض أقواله (٩٧) .

وقد جمع " أبو الوليد بن جهور " الفقهاء والحكماء وجمع من العامة فى مسجد "ابن عتاب" المعروف بمسجد غانم وأرسل إلى " ابن القصار" وغيره من المشاورين فأنفوا من إيثار"ابن عتاب " عليهم لجمعهم فى مسجده وتغيبوا عن الحضور فقال " أبو الوليد بن جهور " :" هم وما إختاروا " ، ونزل فى المسجد مع من حضر وأمر بإحضار أبناء المقتول وبنى عمه ونسائه ونزلت الشورى ، وأمر " ابن جهور " بالعمل بفتوى الفقيه "ابن عتاب " ونفذ القضاء به (٩٨) .

وعلى الرغم من كون هذه الحادثة فى ظاهرها حادثة قتل عادية وتتصل بظروف شخصية إلا أنها قد نالت إهتماماً خاصاً من الحاكم السياسى "أبو الوليد بن جهور " وجموع الفقهاء والكتاب أيضاً الأمر الذى يؤكد ما كان يتمتع به الفقهاء من مكانة فى الحياة السياسية والاجتماعية فضلاً عن أن تفاصيل الحادث تشير إلى مدى إهتمام الفقهاء بتحرى الدقة إلى أبعد حد فى القضايا الاجتماعية ، فضلاً عن مكانة المسجد فى الحياة السياسية والاجتماعية ومدى تأثيره وتأثره بالحاكم السياسى إلى جانب كونه مصدراً للتأييد والمعارضة كذلك ، فالمسجد الذى تواءم مع منهج الحاكم السياسى قد أختير لتنفيذ الأحكام فيه ولهذا دلالته فى تدخل الحكام السياسيين لاختيار ما يروقهم من فتاوى الفقهاء.

وقد أضاف " ابن حيان " أن ابن القتيل " زيادة اللّه " قد ظل فى سجنه أعوام طويلة ثم خرج منه خاسئاً بين الناس ، وبدأت تظهر تركة الفقيه " أبى مروان الطبنى " التى كانت غاية فى الثراء فمقت الناس عليه لكثرة ما كان يدعيه من القل ، وعلق ابن

(٩٧) الونشريسى : المعيار المعرب ، جـ ٢ ، ص ٣٢٥ .
(٩٨) الونشريسى : نفسه، جـ٢ ، ص ٣٢٤ ، ٣٢٥ ، ٣٢٦ .

حيان على ذلك بقوله :" ومن أدى حق اللّه فى ماله فليس بشحيح فيما قتر من إنفاقه على أن المرء راع مسئول عن من يقوته من أهله " (٩٩) .

وهكذا فإن العامة رغم حبهم لهذا الفقيه وتحاملهم على من قتلوه إلا أن أى آفة فيها إنقاص للقيم الدينية فإنها تصغّر من شأن صاحبها فى نظر العامة وبخاصة إذا كانت فى علماء الدين الذين يتعلم الناس على أيديهم هذه القيم .

(٩٩) ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، جـ ١ ، ص٥٤ .

obeikandl.com